# أنتوني شديد.. حكاية رجل شجاع

علي حسين

**كانت تحقيقاته الصحفية، الوجه الآخر لسيرته الواثقة وقناعاته الراسخة وإيمانه العميق بالنهايات المنتصرة لقيم التغيير والثورة والعدالة الاجتماعية، لذلك كان انتوني شديد ينظر باستخفاف لتلك الأخطار التي نبهه لها بعض الاصدقاء المتمثلة في كشف الانتهاكات ضد الانسان فقد ظل شديد يؤكد ضرورة محاربتها لان الحياة مع المستقبل قائلا: "كان على الصحفيين من أمثالي، الذين أمضوا السنوات الطوال في خدمة صحف إخبارية محترمة، التصدي، ومنذ وقت ليس ببعيد، لحقيقة أننا، وفي عيون الكثيرين، لم نعد أكثر من تابعين، معصوبة عيونهم، لإعلام «الاتجاه السائد» الذي أصبح يشار إليه، وعلى نطاق واسع"، لقد ادرك على نحو مبكر ان الصحفي الحقيقي هو الذي يجب ان يدافع عن الانسان الحر، كان الايمان بالانسان وحريته يتخلق تدريجيا في وعي انتوني وبسبب شغفه بقضايا الناس التي تفرغ لها والتي أغوته بإمكانية إنطاق الكثير من المسكوت والوصول من خلالهم الى عالم جديد، عالم المحرومين والمهمشين**

المرة الأخيرة التي قرأت فيها لانتوني شديد عن العراق الذي احبه وعشقه كان تحقيقا مثيرا عن الطبقة السياسية العراقية وفيه قدم لنا باسلوبه الادبي الجميل حكاية قادة العراق الذين لا يزالون يعيشون بعقلية المعارضة حيث لغة التآمر والخوف من الانقلابات والتخوين والتشكيك بنوايا الاخر جزء من تفكيرهم اليومي.

كل الذين كتبوا عن انتوني شديد لم يكونوا يتصورون ان الرجل الذي اصيب بالرصاص في الضفة الغربية عام ٢٠٠٢ والذي رفض ان يغادر بغداد عام ٢٠٠٣ وظل يتجول تحت القصف الامريكي ملتصقا بالناس ناسجا حكاياتهم والذي اختطفته قوات القذافي ستنتهي حياته المليئة بالحكايات بأزمة ربو على الحدود السورية التي دخلها متخفيا حيث كان يأمل بلقاء السوريين ونقل معاناتهم للعالم يكتب شديد "على الصحفيين اليوم التأكد من أننا لم نعد تابعين لإعلام السلطات الحاكمة".

لم تكن الكتابة الصحفية بالنسبة لانتوني شديد مجرد موهبة بل حرفة بامكان الانسان تعلمها، فبعد ان درس الجماعات الاسلامية قرر ان يدخل عالم الصحافة من بابه الحقيقي محررا للاخبار، حيث اكتسب خبرة ميدانية ضرورية ليصبح صحفيا حقيقيا، في عالم الاخبار اكتشف حقيقة ما يجري في كواليس السياسة التي دائما ما تغلف بستار براق لامع.

يؤمن شديد بما قاله معلم المراسلين الصحفيين همنغواي يوما "دع الناس وحدهم يتكلمون" ومن خلال هذه المقولة تعلم انتوني كيف يكتب القصص الصحفية حيث حاول ان ينقل احاديث الناس وحركاتهم ونظراتهم، والاهم ان يصف دواخلهم، ومن خلال اسلوب رشيق بعيدا عن الجمل المزوقة فهو يكتب ما يحسه ويراه بافضل وابسط اسلوب حيث اتضح له مع مرور الايام والتجارب والبلدان التي غطى احداثها ان الكتابة يمكن لها أن تصبح كالرسم.

في كتابه المثير للدهشة.. اقترب الليل: شعب العراق في ظل الحرب الامريكية، يكتب شديد هذا الوصف لبلاد عانت من عقود من الدكتاتورية والحروب والاستبداد: "هنا كان بلد من حيوات.. لكنها توقفت. مثلها مثل العراق كانت كريمة - أرملة وأم لثمانية - عانت لعشرين عاما من الحروب والعقوبات، والديكتاتورية. حين دنا الليل في بغداد، وبدأت القنابل تسقط مجددا، اصطحبت كريمة ابنها المراهق إلى المحطة ليركب حافلة متهالكة تقله إلى الموصل كي ينضم، على مضض، إلى جيش صدام، وودعته قائلة له: (الله يحميك)، وبيد مرتعشة وضعت في جيبه أجرة الحافلة التي بالكاد تملكها"

وعلى مدى سبعة عشر عاما استمر شديد في صدماته للقراء وفى اصطياده للجوائز الصحفية (أكثر من٦ جوائز من أهم الجوائز الصحفية بما في ذلك جائزة بوليتزر مرتين كما نشر كتبا هامة مثل:

*- قصة نبي: الطغاة والديمقراطيون وسياسات الإسلام الجديدة،*

*- اقترب الليل: شعب العراق في ظل الحرب الامريكية.*

*- بيت من حجر: سيرة موطن وعائلة وشرق أوسط ضائع.*

قبل أعوام قال شديد: "مازال أمام الصحفيين قصص عظيمة. ولكن المشكلة أن البعض يريد منا ترك المجال لآخرين يحبون حضور الحفلات والكتابة في الغرف المكيفة".

ترك شديد دفاتره وأقلامه، وجهاز اللابتوب وكاميرته، وكذلك أدويته التي رافقته في أسفاره ومهماته المحفوفة بالأخطار، نائما على امجاد مهنته وصدقه ومهنيته التي جعلت منه أشبه بباحث معلومات ومشاهدات وشهادات لما آل اليه حال العرب، قصص اراد ان تروي ظمأ قرائه الذين كانوا يتابعونه كل يوم، لم يكن يخاف من الرصاص المنهمر من كل صوب، ولم يسقط صريع لغم زرعه جنود فارون، لكنه سقط، لأن أدويته التي في حوزته لم تسعفه في نوبته الشديدة التي ضربته وهو بين الجبال في الطريق الى سوريا، تاركا طفلة في العاشرة وصبياً لم يبلغ ربيعه الأول، وحكايات تروي شغف المهنة، شغف اختصره بجملة بسيطة قالها قبل ايام من موته: "شعرت بأن سوريا بالغة الأهمية، وأنه ما من طريقة أخرى لرواية قصتها، وأنها تستحق المجازفة" مثلما شعر عام ٢٠٠٣ بأن بغداد تستحق المجازفة فرفض ان يغادرها رغم التحذيرات وظل وسط القنابل وقذائف الطائرات عن قصص العراقيين وحكاياتهم عن احلامهم وطموحاتهم، من خلال كتاب "اقترب الليل" الذي استطاع من خلاله ان يرسم صورة تراجيدية للحالة المأساوية التي عاشها معظم العراقيين ليقدم للقارئ ملحمة اشبه بالملاحم الاسطورية عن معاناة شعب لا تريد ان تغادره الماسي والحروب..

انتوني شديد الذي حصل على جائزة بوليتزر مرتين وهي اشهر جائزة صحفية في العالم من خلال تحقيقات متميزة عن العراق لم يجد في البلد الذي أحبه، مؤسسة صحفية او حكومية تنعاه للعالم، ترثي الرجل الذي قال يوما:

حاولت ان اقدم قصص العراقيين، حكايات موتهم اليومية، وفقرهم وتهجيرهم، ورغم كل ما عانيته من صعاب فإنني لازلت احن إلى هذه البلاد".

يراقب الانتخابات المصرية

في ليبيا

في ميدان التحرير بالقاهرة

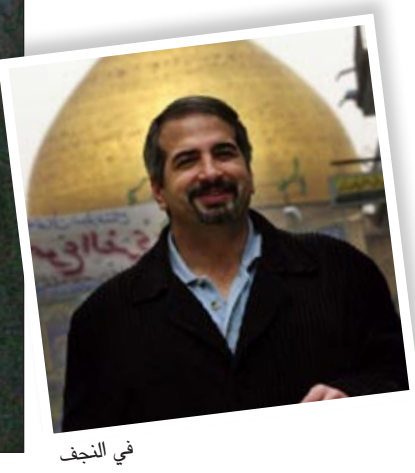

في النجف

# العمل مع أنتوني شديد في العراق

في العراق

ترجمة المدى

يستذكر الصحفي العراقي نصير المهداوي صداقته مع زميله الصحفي انتوني شديد – الذي توفي يوم ١٦ شباط في سوريا نتيجة احدى نوبات الربو – وكيف قاما معا برواية قصة العراق.

غالبا ما يكون الصحفيون مشاكسين ومتنافسين، لكن مع ذلك فإن انتوني قد نال ثناء واعجاب كل من عرفه بعد موته الحزين المفاجيء. يوم امس ذكرتني احدى الزميلات بحديث قديم معها عام ٢٠٠٦ قلت فيه ان انتوني هو افضل مراسل عمل في العراق وكل الصحفيين متفقون على ذلك. وبالطبع فإنه حصل على مساعدة زميل عراقي عمل معه على القصص التي نال عنها جائزة بوليتزر عام ٢٠٠٤.

احد اسباب الحب الذي يكنه له محبوه هو كرمه واحترامه للاخرين، كان يعلم انه ليس بمفرده هناك. في كتابه "و يقترب الليل" الذي اهداه الى نصير كتب يقول "ليس هناك صديق افضل ولا زميل اكثر ولاءً ولا رجل نال اعجابي اكثر منك. هذا الكتاب كان يجب ان يحمل اسمك على الغلاف! انا اعتبرك اخا لي وستبقى كذلك". يقول نصير "اتذكر اول مرة التقيت فيها بانتوني في شباط ٢٠٠٣ وبالمصور ميشيل روبنسون شافيز. كان انتوني يعمل معنا انا وراجيف وشافيز، لقد عرّفني به راجيف واخبرني بانه صحفي عظيم. كان يعمل في صحيفة اخرى لكن صحيفة "بوست" استأجرته لأنه الافضل. ثم جاءت التعليمات من بيل بينيت مدير التحرير المساعد للاخبار الخارجية في صحيفة بوست، بأن على كافة صحفيي البوست مغادرة العراق بسبب تجمّع القوات في الخليج وان الحرب ستجري. الا ان انتوني رفض ذلك وبقي في العراق وسألني ما اذا كنت ارغب بالبقاء معه. كنت مهتما بالعمل الصحفي واتطلع لما سيجري. اما راجيف وشافيز فقد غادرا وانتظرا في الكويت. كنت انا وانتوني لوحدنا، وكان سائقنا كريم سعدون حيث شكلنا فريق عمل. بدأت رحلتي مع انتوني بحثا عن المواطنين الذين يعبرون عن شعورهم عما سيحدث. كنت بغريزتي اشعر ان النظام سيسقط فقررت ان اساعده وادعمه. اخذته الى مدينة الكاظمية في بغداد، التي يشعر اهاليها بالكراهية تجاه صدام بسبب استهدافه لهم وقتله للعديد من عوائلهم خلال الانتفاضة التي اعقبت حرب الخليج ١٩٩١. عندما اخبرت انتوني بذلك شعر بالسرور لهذا الموضوع وبدأ يقترب مني اكثر ويعتمد علي. ومن جهتي بدأت افكر مثله واعرف انواع الحكايات التي يريدها والمواطنين الذين يرغب بلقائهم. كان يحب التحدث مع المواطنين في الشارع، الذين تضرروا فعلا من صدام ومن الحرب. صارت ثقته بي اكبر. اتذكر ان وزارة الثقافة امرتنا حينها بالذهاب الى مناطق محددة الا اننا رفضنا ذلك، وذهبنا الى مناطق ممنوعة لا يجرؤ احد على الذهاب اليها ما عدانا انا وانتوني. في المطعم كنا نتحدث عن المناطق التالية التي سنذهب اليها والتي لا يريدنا صدام ان نراها. كنا ننطلق في رحلات يومية مع سائقنا الشجاع كريم، ونذهب الى مناطق متفرقة من البلاد، ونلتقي بالناس ونناقش مختلف القضايا ونكوّن صداقات. التقينا عمالا في المعامل، ومزارعين في الحقول، وموظفين حكوميين سأموا قيود النظام، وطلبة جامعات يطمحون لفرصة في التحرر والتعبير عن معاناتهم واحلامهم، ورجال دين منعزلين في مساجدهم الصغيرة، ومواطنين مسحوقين. كتبنا حكايات عن نساء فقدن ازواجهن وابناءهن خلال الحروب الكثيرة التي اشعلها النظام.

من جانبها ذكرت صحيفة الغارديان تحت عنوان "انتوني شديد، المدوّن الفريد للقصص الانسانية" ان انتوني قد نال الاعجاب بانسانيته واستبصاره خلال عمله في المناطق التي تكثر فيها المتاعب. في بداية عام ٢٠٠٩، بعد خمس سنوات من نيله جائزة بوليتزر عن كتاباته عن العراق، عاد انتوني الى بغداد. كانت حربا مختلفة جدا حينها، حيث كان الشعب الاميركي لا يعرف الا معلومات مشتتة عنها. وكانت رواية القصة بشكل جيد تعتبر تحديا يواجه اغلب المراسلين الموجودين في العراق. بالنسبة لانتوني، كانت تلك فرصة لاعادة تقدير ما تعلمه في المرة السابقة واستطلاع المواضيع التي بدأت بالظهور انذاك. بعد عام واحد، وبعد ان احيا العراق من خلال اصوات ابناء شعبه و نشرها واظهارها باسلوب مبدع، حصد انتوني جائزة بوليتزر الثانية. حيث حاز ريبورتاجه الرائع على اعجاب زملائه الذين شعروا بانه الافضل في مجال عمله.

لم يكن عمله سهلا، فكل قصة من القصص العشرة التي كتبها كانت تتطلب فهما عميقا واستبصارا ومعرفة نادرا ما يمتلكها احد غيره. لم يكن يخضع لقائمة الانباء، كانت لغته العربية ومعرفته بالمجتمع العراقي تعني انه يتمكن من الذهاب الى اماكن لا يستطيع الكثير من نظرائه الذهاب اليها. في الامسيات كان يختلط بالمواطنين المحليين، السواق والمنظفين وغيرهم، بالاضافة الى استماعه لضباط الجيش الاميركي والمسؤولين العراقيين والسفراء، وكانت لديه مهارة في التقاط ما في داخل المواطنين العراقيين الاعتياديين الذين كسب ثقتهم بسحره.

بعد ان نفدت القصص في العراق، انتقل انتوني مع زوجته الى بيروت حيث ولد ابنهما مالك الذي حملت به والدته في العراق بينما كانت تكتب مع زوجها لصحيفة نيويورك تايمز قال متحدثا عن الوقت الذي قضاه في العراق "جئت الى هنا لا تفهم هذا البلد بكل ما فيه من غنى وجمال وجنون وخسائر، انه المكان الوحيد في العالم الذي كنت اريد ان افهمه. الان افهم عنه الكثير من الاشياء".

**عن: كريستيان ساينس مونيتر**

# بيت من حجر.. صفحات من مذكرات أنتوني شديد

ترجمة: ابتسام عبد الله

عماتي وخالاتي واجدادي واجداد اجدادي، كانوا جزءا من موجة هجرة حدثت مع اندحار الامبراطورية العثمانية ثم سقوطها، قبل الحرب العالمية الاولى.

وفي الارض الخلفية التي كانت انذاك جزءا من سوريا الكبرى، تركت الحرب علامات عن اعوام من الفوضى والعنف واراقة الدماء، وكانت الامراض منتشرة وكذلك الجوع والقحط، وقد توفي آنذاك مئات الالوف جوعا من اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين، ولم تنج المنطقة التي كانت اسرتي تعيش فيها، ودراسة لـ١٨٢ قرية في تلك المنطقة، اظهرت ان ربع المنازل فيها قد هدمتها كوارث زمن الحرب، وان اكثر من ثلث سكانها لقوا حتفهم.

ان تلك المرحلة ونتائجها اثارت القرويين- ومن بينهم اسرتي- ودفعتهم الى هجر منازلهم الى مناطق اخرى تبدأ من اميريكا الجنوبية الى غرب افريقيا الى استراليا، وايضا بعض المناطق القريبة وهي اوكلاهوما او أي مكان اخر، كان الكثؤر قد فقد".

وتسأل اليزابيث هاردويك التي ساهمت في اعداد "مذكرت انتوني شديد"، "ماهو الاكتشاف الاول لك عندما تسافر، هل هو الاحساس بعدم الوجود"، وبمعنى اخر انك لم تترك الاخرين في الخلف، بل كل ما تعرفه، لقد ذهب كل ما فعلت عائلتك من قوة واسم العائلة والسمعة التي اكتسبتها عبر اعوام طويلة، كل ذلك يذهب هباء في المكان الجديد.

وبالعربية، كلمة "بيت"، التي تترجم بـ هاوس، تعني ما خلف الجدران والغرف، انها تجمع ما بين الذكريات حيث يجتمع افراد العائلة، وفي الشرق الاوسط، البيت المقدس، فقد تسقط امبراطوريات، تتغير الحدود، الولاءات القديمة تذوب، ولكن البيت يبقى دائما، ارض العائلة وهويتها التي لا تبهت.

يقول شديد، "وعلى الرغم من ان عائلتي غادرت "مرجعيون" منذ زمن طويل، فإن البيت الذي شيده جد جدي ما يزال قائما. في الحرب اللبنانية عام ٢٠٠٦، دخلت اسرائيل بلدة مرجعيون في آب كئيب، وتساءلت بيني وبين نفسي فيما ان كان البيت ما يزال قائما، ذهبت الى مرجعيون وعندما وصلت الى البيت الذي هجر طويلا، اكتشفت ان صاروخا إسرائيليا قد دمر الطابق الثاني منه، اقسمت لنفسي اني سأستعيد بيتي، واذكر عائلتي ان يتذكروا الماضي، ان يتذكروا مرجعيون، ان يتذكروا من هم.

وقد استغرق مني تحقيق ذلك القسم اعواما تزوجت ثانية، رزقت بولد ثان (مالك) وفي خلال هذه الفترة، اعيد بناء البيت في عام ٢٠٠٩.

واصلت ارسال التقارير من الشرق الاوسط وفي عام ٢٠١١، فرحت كثير لاحداث الربيع العربي، الذي زحف الى القاهرة في شباط وحقق الانتصار.

وبعد شهر من ذلك وجدت نفسي في مدينة ليبية، لا اتذكر ما اسمها، وقد قبض علي جنود من الحكومة لتي أوشكت على الانهيار، وقادوني الى نقطة تفتيش، وجرب الجنود اسلحتهم علينا، ضربونا وسلبوا مني كل ما في جيوبنا وارغمونا على الانبطاح ارضا ووجوهنا نحو الاسفل.

وصاح جندي بهدوء بالعربية، "اطلقوا عليهم" وعندما كنت متمددا بلا حراك على الارض، احسست بشيء مألوف تذكرته من ايامي في رام الله، قبل اعوام، عندما

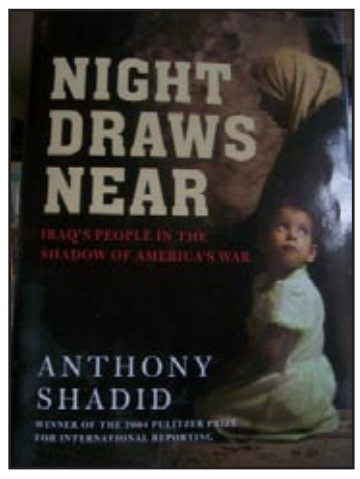


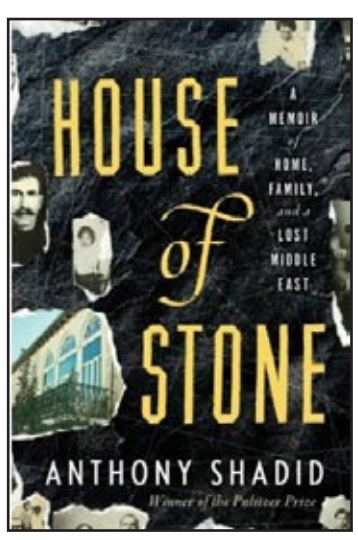

جريحا في الضفة الغربية

تمددت تحت السماء الرمادية، منتظرا موتي بعد اصابتي برصاصة في ظهري، اتذكر من قانا، في عام ٢٠٠٦، عندما صاح الناس، "على مهلك، على مهلك"، عندما بدأ الجنود اللبنانيون وافراد الصليب الاحمر والمتطوعون بحفر الارض بالرفش والايدي بحثا عن المفقودين، كما انني أحسست في بغداد عام ٢٠٠٣، عندما سحب جذع والدة لافا جمال المهروس من الدمار بعد قصف الطائرات الاميركية، تقيأت في تلك اللحظة عندما رأيت ابنتها مقطوعة الرأس، تذكرت ايضا مرجعيون، عندما وصلت الى بيت عائلتي فوق تل، حيث العظمة تحولت الى إذلال.

وفي طرابلس، بعد ان قام الدبلوماسيين الاتراك بالتفاوض من اجل اطلاق سراحنا ونقلنا بالسيارة من ليبيا، وجلسنا في مكتب وثير لأجد موظف الخارجية، الذي اخذ يتحدث معنا وقد نسيت كل ما قاله، ما عدا ما رددده بالانكليزية، كان بيتين من الشعر لـ ويليم بتلر ييتس: "اولئك الذين أقاتلهم لا اكرهم/ اولئك الذين احرسهم، لا احبهم".

كرهت ذلك الشخص، اردت الذهاب الى المنزل، وبطبيعة الحال ذهبت الى مرجعيون مع زوجتي الحديدة وطفلي الرضيع، ولم تكن هناك اسئلة امامنا والى اين نذهب بعد اطلاق سراحي في ليبيا.

وعندما عدت الى مرجعيون: فكرت بالشيء الذي فقدته وما قد يعود بشكل ما، فكرت بالجوالين في الصحارى، فكرت في مناهج الايمان المختلفة، والعقيدة، ان يساعد المرء الاخر، فكرت بوعد الربيع العربي، وما جرى وما كنا نتخيل حصوله.

في مرجعيون او بالتحديد في (اسبر) حيث يقع منزل الاجداد، سرت بجانب البيت، مارا بشجرتي زيتون، تعثران الاقدام، وما تزالان واقفتين منذ ان قالت جدتي، "مع السلامة"، ورأيت عبر مخيلتي ابنتي التي ستصل قريبا، تكبر فجأة، قرب هذه الاشجار والكلمات التي سأعلمها في يوم من الايام، كلمات تعود بها الى (أسبر) وعالمه، حيث يجري الليطاني فوق مرجعيون، فوق ما كان ذات مرة ارضنا.

وتخيلت ايضا وجبات الطعام التي طبخت، والفساتين التي خيطت، والوسائد التي اعدت، والتمنيات وكلمات الوداع التي تبودلت في هذا المكان، فكرت في البيوت الفارغة من حولي، وفي الفنانين وعمال البناء الذين تركوا جزءا من آمالهم ومعتقداتهم في هذا المكان، ووجدتني اصل الى قناعة بما اعرف، ولم يكن يخطر ببالي تخيل ان هذا المكان سيكون لي.

هذا هو البيت، هذا ما نتخيله، هذا هو المنزل.

*× هذه المقالة مجتزأة من مذكرات انتوني شديد باسم "بيت من حجر"*

**عن النيويورك تايمز**